بحوث في اللغة العربية: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان
العدد ١٩ (خريف وشتاء ١٤٤٠هـ. ق/ ١٣٩٧ هـ. ش)، ص ٨٩ ـ ٦٩

مناويل الهومونيمي وتجلياته في اللغة العربية[١]

ناديا دادپور ❖

سيد محمدرضا ابن‌الرسول ❖❖

حدائق رضائي❖❖❖

الملخّص

يعدّ الهومونيمي من أهم التقنيات التي تنصبّ الوجوه الدلالية في خانتها، وهو يتمظهر أكثر ما يتمظهر في الدراسات التقليدية للغة العربية في إطار المشترك اللفظي، إلا أن هذه التقنية التي تستوعب مساحة لائقة في اللغة العربية، تتوغّل في خفايا الغموض والإبهام ولم تعرف حق المعرفة؛ ذلك أنّ الهومونيمي يحتظي في اللغة العربية بمظاهر شتى لا يعرف منها إلا ما سمّي بالمشترك اللفظي من غير بسط المرايا المتواجدة فيه. وهذه المعرفة لا تضمن نجاعة تكفل مهمة الإضاءة التامة والكشف عمّا يتوارى من هذه الظاهرة اللغوية. بذلك يستهدف البحث رصد أهم مظاهر الهومونيمي في اللغة العربية وإزاحة الستار عن مدى فاعليته في النصوص. فتخطو هذه الدراسة خطواتها على أساس المنهج الوصفي ـ التحليلي مبينة مظاهر الهومونيمي في اللغة العربية مضيئة تمفصلاته ودهاليزه المختفية، وذلك في إطارين: الأول التعريف بأنواع الهومونيمي ومناويله في اللغة العربية، والثاني: إزاحة الستار عن مدى فاعلية الهومونيمي في التعامل اللغوي واستفسار النصوص أدبية كانت أم غير أدبية والتعبير عن كيفيات وظائفه التي تخلق شحنة دلالية جديدة في اللغة. وما توصل إليه البحث يكشف عن أنواع الهومونيمي في اللغة العربية من التام والجزئي والترقيمي، واللغوي، والنحوي، والصوتي، والتركيبي، والمضاد والسياقي ويبيّن أنّ مظاهر الهومونيمي تتوزع في نطاق ما يسمى بالمشترك اللفظي الحقيقي المعجمي والمثلثات، والجناس، والتضاد، والتورية والاستخدام، والمشاكلة، وهذه الظاهرة تقدّ قميص التراتب في النصوص أحياناً وفي أحايين أخرى تخلق طقساً أدبياً بديعاً يتمتع به المتلقي تمتعاً لا مثيل له.

المفردات الرئيسية: الهومونيمي، اللغة العربية، المشترك اللفظي، المثلثات، التضاد، الجناس، الاستخدام

١ـ تاريخ التسلم: ١٣٩٦/٤/٢٣هـ. ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٧/٣/٢هـ. ش.

❖ طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان Email: dadynady95@gmail.com

❖❖ أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان (الكاتب المسؤول) Email: ibnorrasool@yahoo.com

❖❖❖ أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان Email: hadaeghrezaei@fgn.ui.ac.ir

١ـ المقدمة

اللغة العربية تتضّمن ملامح لغوية شتى تكتب لها نجاعة تميزها عن سائر اللغات. فمن هذه الملامح التي تستطيع أن تؤكد للغة العربية حضورها هي ظاهرة الهومونيمي حيث تتمكن المفردة فيها من استيعاب معنيين أو أكثر. وهذه الظاهرة في الدرس التقليدي تُعرف عامة بالمشترك اللفظي، إلا أن هذا المصطلح لا يقدّم معنى سافراً بطريقة تناسب الهدف وتصيب الغاية المنشودة، لأنه يتزواج والتعددية الدلالية. ثمة أن الهومونيمي في الدرس اللساني المعاصر يتوزع على أقسام منه: الهومونيمي التام والجزئي والصوتي والتركيبي وغير ذلك. وكل هذه الأنواع لا شك تعمل بنشاط فاعل في الساحات الأدبية وتزودها بما قلّ أو جلّ. وهذه الطاقات التي تتمتع بها اللغة باحتضان كميات الهومونيمي تؤثر تأثيراً جلياً في تخصيب اللغة. والكشف عن مديات الهومونيمي في اللغة العربية وإزاحة الستار عن جدلية المشترك اللفظي الذي يحمل قوائم متأرجحة في الدرس التقليدي ثمة الرغبة في الإضاءة عن فاعلية الهومونيمي الدفينة تحت التقنيات الأدبية تبرّر الضرورة التي سعى هذا البحث المتواضع وراء تحقيقها. بذلك يستهدف هذا البحث إزاحة القناع عن مناويل الهومونيمي في اللغة العربية وفحص مناجمه وتبيين مدى فاعليته في إطار اللغة ويقصد أخيراً أن يبرز الصلة القائمة بين التقنيات الأدبية والهومنيمي كآلية فاعلة في تطوير اللغة وتعميق النصوص.

٢ـ أسئلة البحث

الأسئلة التي يحاول البحث الإجابة عنها هي:

ـ ما هي مناويل الهومونيمي ومدياته في اللغة العربية؟

ـ ما هي مناجم الهومونيمي وأسباب نشأته في اللغة العربية؟

ـ ما هي التقنيات الأدبية التي تستدعي الهومونيمي ترقية لمستوياته الجمالية وتغوير شحناته الدلالية؟

٣ـ خلفية البحث

الدراسات التي جعلت المشترك اللفظي في اللغة العربية محطة درسها تقع في حلقة الدراسات السابقة للبحث الراهن ولا يغفل القارئ عن الكثرة الكاثرة لهذه الأبحاث، ويمكن الإشارة إلى كتب الوجوه والنظائر وبجانبها كتب الأضداد منها:

ـ حدوارة، محمد. (د. ت). السياق في كتب الوجوه والنظائر. جامعة المدينة العالمية، شاه علم ـ ماليزيا، صص ٥ ـ ١.

ـ مكرم، عبد العال مسالم. (١٩٩٦م). دراسات سلسلة في غريب القرآن الكريم بين اللفظ والمعنى، المشترك اللفظي في الحقل القرآني. بيروت: موسسة الرسالة.

ـ البدوي، حسن أحمد سلمى. (٢٠٠٦م). الألفاظ المتضادة في القرآن الكريم. رسالة مقدمة إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة ماجستير الآداب في اللغة العربية.

ـ صيفور، أمين (٢٠٠٩م). ترجمة المشترك اللفظي في القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية؛ لفظة الأمة نموذجا: دراسة نقدية مقارنة. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة منتوري ـ قسنطينة كلية الآداب واللغات قسم الترجمة مدرسة الدكتوراه.

فكل هذه البحوث تتحدث عن الهومونيمي في إطار المشترك اللفظي أو الأضداد أو الوجوه والنظائر ولم تفصل بينه وبين التعددية الدلالية، بل تدرسها على أنهما توأمان تتوؤماً شبه تام.

أما ما يتصل بالبحث اتصالاً تاماً هو:

Abd-ul-ameer. (2010). Ahmed Mohammed. Homonymy in English and Arabic: A contrastive study. Babylon University.

Kaddouri, Nagham. (2012). Demonstrating Homonymy in English and Arabic as an ambiguous lexeme. Tikrit university journal for humanities. January 2012. pp 25-48.

فالمقالة الأولى تقارن بين الهومونيمي في اللغة الإنجليزية والعربية وتبين الخطوط الاشتراكية بينهما وتأتي بما يبين الوجوه الخلافية من دون أن تلقي النظرة على النشاط الأدبي للهومونيمي. والمقالة الثانية تنظر إلى الهومونيمي في نطاق الإبهام اللغوي وتقارن بين كيفيات الهومونيمي في اللغتين، الإنجليزية والعربية.

مهما يكن من شيء، فالدراسات التي سبقت هذه الدراسة لم تَدُر بعدستها نحو اللغة العربية ولم تركز ـ على ما علم ـ على معالجة الهومونيمي ومدى تضافره بالتقنيات الأدبية مما تَمَيَّزَ به هذا البحث، حيث إنه يؤكد على معالجة الهومونيمي في اللغة العربية بذاتها من دون أن يوزع رؤيته إلى هذه الظاهرة بين اللغات الأخرى ويركز على كشف الخيوط العلائقية بين التقنيات الأدبية والهومونيمي ما يشكل فراقاً قائماً في ما سبقت هذه الدراسة.

٤ـ منهج البحث

المنهج الذي انتقاه البحث لإنجاز أهدافه هو المنهج التحليلي ـ الوصفي. فهو يبين في المرحلة الأولى أنواع الهومونيمي في اللغة العربية ويشير بعد ذلك إشارة خاطفة إلى مصادر الهومونيمي في اللغة العربية. وفي نهاية المطاف، يخصص أوراقاً لتبيين علاقة التقنية الأدبية والهومونيمي في اللغة العربية، وبذلك يريد أن يفتح نافذة أمام الخطوات القادمة التي ترنو إلى انصباب البحث في أطر تحليلية في النصوص.

٥ـ الهومونيمي لغة واصطلاحاً

لفظة هومونيمي[1] متأصّلة في اللغة الإغريقية، وهي تتشكل من جزئين: "هومو" بمعنى الذات أو النفس و"أُونوما" بمعنى اللفظ أو الكلمة (مدكور، ٢٠٨٨م، ص١٤٤). فالهومونيمي يعني نفس اللفظ. فلمصطلح الهومونيمي علاقة وطيدة بمعناه اللغوي، حيث أنه يدلّ على لفظتين أو أكثر تتماهى تماهياً شبه تام في اللفظ، وكأنّ اللفظ نفس اللفظ، لكنّ المعنى يختلف اختلافاً سافراً. وهذا التماهي لا ينجم عن علاقة دلالية بين اللفظين، بل العلاقة منعدمة والتماهي ناتج عن الصدفة عامة (المصدر نفسه). واستحضار الشبكة العلائقية بين اللفظين يؤدي إلى إنشاء ظاهرة التعددية الدلالية التي ليست من الهومونيمي في شيء. لأنّ تواجد العلاقة المعنوية يعني التطوير الدلالي أو تناسي جانب من الجوانب اللغوية أو إضفاء جناح معنوي على الدلالة الماضوية السائدة. فحينئذ لا يمكن القول إن اللفظتين المندمجتين في الخيوط الدلالية تدخلان ضمن ما يصطلح عليه بالهومونيمي. ومن يحدق نظرته في الألفاظ المتشابهة يجد بضاعة غير قليلة من هذه الظاهرة في لغات العالم، ولاسيما العربية منها. ولا غرو أن تكون هذه البضاعة هي الدافع

1. homonymy

الأساس في الولوج إلى هذا البحث. فلفظ الخال في العبارات التالية مثلاً يعطي حلقة من هومونيمات تستوعب قدراً من الثروة اللغوية لا يستهان بها:

مَهـاةٌ جَلَـتْ خَـدّاً عَلَـى عَرْشِـهِ اسْـتَوى لِأَهْـلِ الهَـوى خَـالٌ لَـهُ الطَّـرْفُ عابِـدُ

(الأحدب، ٢٣٣٣م، ص ٤٠٤)

كُـلُّ مَجْـدٍ يُبْنـى عَلـى غَيْـرِ عِلْـمٍ وَكَمـالٍ مَصِـيرُهُ لِلـزَّوالِ

وَفَخَـارٍ يُعْـزى إلى غَيْـرِ فَضْـلٍ فَهْـوَ مِـنْ بَهْجَـةِ المَفـاخِرِ خـالِ

(الأسود، ٢٣٣٣م، ص١٢١)

دارَ المُلـوكِ فَعِـشْ فِـيْ غَمْـرِ مَجْـدِهِمُ وَارْفَـعْ رَجـاءَكَ عَـنْ عَـمٍّ وَعَـنْ خـالِ

(ابن هرمة، ٢٣٣٣م، ص١٩٥)

يـا مـا لِـدَهْرِي لَـيْسَ يَعْـدِلُ حُكْمَـهُ أَتَـراهُ خـالَ العَـدْلَ فِـي العُـدْوانِ

(ابن الحداد الأندلسي، ٢٣٣٣م، ص٧٢)

فالخال في الأبيات السابقة تشكل دائرة علاماتية تحوم حولها دلالات تتباين بعضها بعضاً من الشامة والأخ الأم وخلوّ المكان وغيرها من الدلالات؛ فكلها تؤكّد على تواجد الهومونيمي في بنية النصوص المختلفة.

٦ـ أنواع الهومونيمي

الاتجاهات التي تعن . بالهومونيمي تسفر عن أنواع هذه الظاهرة اللغوية في طيّات اللغة. وهذه الأنواع ولدت في حضن التقنيات التي ولدت عن وعي أو لاوعي في الاستعمالات اللسانية حيث أدّت إلى خلق دائرة موسعة تدخل ضمنها ما يسعه أن يشمل سمات الهومونيمي في الأنظمة اللغوية. ففيما يلي يكشف البحث عن وجه أنواع الهومونيمي.

٦ـ١ـ الهومونيمي التام / الكامل[1]

أما الهومونيمي التام الكامل في اللغة العربية فيتجلى أكثر ما يتجلى في المؤشر الاسمي "الإنسان" و"الأرض" و"الهلال" وما يماثلها من المؤشرات التي تدلّ على معان عدة من دون أي رابط، هي التي تتميز في جميع استعمالاتها باتحاد قواعدي تركيبي فلا تتأرجح عن تموقعها وهندستها التي فطرت عليها، فتتربّع على منصة الكينونات الاسمية أيّاً كانت دلالاتها.

فلـ"الإنسان" معان مختلفة هي: الواحد من بني آدم، وناظر العين، والأنملة، وحد السيف والسهم. ثمة "الأرض" جاءت لتملأ الفراغات التي توحي بالدلالات التالية: ما يقابل السماء، فالنفضة، والرعدة والزكام. وهنالك المؤشر الاسمي "الهلال" يشير إلى الهلال في السماء، ثم الصعيد، والنعل والإصبع المطيف بالظفر وإلى الحية إذا سلخت وإلى الجمل الهزيل من كثرة الضرب، وعلى باقي الماء في الحوض (مبين، ٢٠٤٤م، ص ٤٠٩). فتنعدم العلاقة الدلالية انعداماً شبه تام في المؤشر الاسمي "الإنسان"

1. Complete homonymy

ودلالاته فلا يشاهد أي خيط علائقي بين "الإنسان" و"حد السيف" و"بوء بوء العين" و"السهم" مثلاً وتتضاءل العلاقة إلى درجة الصفر بين الأرض والزكام، وشتان بين الهلال في جوف السماء والنعل على حافر الأقدام.

أما الكيفيات القواعدية لهذه الدلالات فلا تباين بينها فكلّها أسماء لا يطرأ عليها من الحالات إلا ما تقبله المؤشرات الاسمية من دون غيرها من المؤشرات الفعلية والحرفية. فهي تستقرّ في نطاق الفاعل والمفعول والابتداء والحال وغيرها من الخانات التي لا يتربع عليها إلا ما يبدو على وجهه ملامح الاسم وخصائصه.

وهنالك كم هائل من هذه الهومونيميات التامة يظهر فى قائمة معجم اللغة العربية ويشكل خير معونة للأدباء والمؤلفين ولمن يضرب في سبيل رقيّ هذه اللغة العالمية.

٦ـ٢ـ الهومونيمي الجزئي[1]

تدرس حلقة الهومونيمي الجزئي في دائرة تترامى أطرافها ويمكن أن تستوعب أخرى أنواع الهومونيميات التي يروح الحديث عنها فيما يأتي. أما الهومونيمي الجزئي يعرف على أنه ينطبق على لفظين أو أكثر يتماهي كل منها في بعض الأحوال القواعدية الخاصّة. فهو يتمثل في نحو: "قال" من "قيل" و"قال" من "قول". فالصيغتان مختلفتان في الأصل ومتّحدتان في بعض الصيغ فقط لإجراء القواعد النحوية أي الإعلال فيما مُثّل (salim، ٢٣١٣م، ص ٧١). فتوظيف الهومونيمي الجزئي يخلق أجواء دلالية مبهمة في بعض الاستعمالات من دون غيرها. ومن الممكن أن يتعلق الهومونيمي الجزئي إلى الصور الصوتية أو الاشتراكات الأبجدية وغيره من الصور التي تخضع لأن تكون صورة من الصور الهومونيمي الجزئي. والجدير بالذكر هو أن ننبّه في هذه الآونة أنّ البعض يعدّ التعددية الدلالية في حدود الهومونيمي الجزئي، إلا أنّ هذا الرأي نقطة تثير جدلية كبرى ولا يمكن قبولها قبولاً تاماً أو الاحتذاء بها والتمشي ورائها خبط عشواء كما لا يمكن أن يضرب بها على حائط الرفض التام، بل يجب أن توجّه هذه الرؤية توجيهاً صائباً ذلك أنّ حقل الهومونيمي ومجال التعددية يختلفان اختلافاً مئوياً عندنا. والأخذ بهذا القول يؤدّي إلى جعل التعدد الدلالي في ساحة الهومونيمي، ثمة لو افترضنا أن التعددية تبرَّر بأن تدخل ساحة الهومونيمي. عندئذ يمكن تبرير هذا المعتقد، إلا أن هذا الأخير لم يقدّم رصيداً محترماً ولا سيما في الدرس اللساني الحديث.

٦ـ٣ـ الهومونيمي الداخل لفظي

يبرز الهومونيمي الداخل لفظي في اللغة العربية في المؤشر الاسمي "رجال" وما يماثله من المؤشرات التي تتساوى وتتماثل في بعض الحالات لا في جميعها. فـ"رجال" يمكن أن يكون جمعاً للفظة "رجل"، وهي تقابل المرأة والأنوثة المحضة ويمكن أن يكون مؤشراً يصوّب البنان نحو حشد من الراجلين الماشين فلفظة "رجل" و"راجل" تتّحدان في صيغة الجموع وهذا الاتحاد والتماثل اللفظي الذي نتج عن التغيرات الداخل لفظية أدى إلى ترعرع الهومونيمي الداخل لفظي في الشرائح التالية وما يماثلها: ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَميق**﴾ (الحج ٢٢: ٢٧) و﴿**مِنَ الْمُؤْمِنينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْديلاً**﴾ (الأحزاب ٣٣: ٢٣). فـ"الرجال" في الشريحة الأولى يدلّ على المشاة الذين، إذا

1. Partial homonymy

دعوا للحج استجابوا لهذه الدعوة وأتوا بأرجلهم وقلوبهم قد سبقت أقدامهم؛ وأما "الرجال" في الشريحة الثانية فلا تتجاوز دلالتها عن التي تعمّ وتخطر بالبال بادي الرأي، إذ الرجال ها هنا هم الرجال الصادقون الذين لم ينكثوا عهدهم بل ألحّوا وأصرّوا عليه الذين شمّروا عن سواعدهم ليجاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله.

٦ـ٤ـ الهومونيمي الهندسي الشكلي

يرسي الهومونيمي الهندسي الشكلي قواعده في الهندسة الشكلية للكلمة، وهي تتحقق في عدد قليل من الألفاظ حيث المفردة تماثل أختها في بعض الصور (Abd-ul-ameer، ٢٠١٠م، ص ٤). فـ"مختار" مثلاً يصدق عليه أن يكون اسم فاعل أو اسم مفعول في زمن واحد. فما يميّز هذا النوع من الهومونيمي عن أخرى الأنواع هو التماهي في الشكل والاختلاف في الصياغة الهندسية التي تنتج عن صدفة، كلمتين متماثلتين. ويبدو أنّ هامش المناورة في هذا النوع ضيّق للغاية ولا يكاد يبين.

٦ـ٥ـ الهومونيمي القاموسي

الهومونيمي القاموسي[1] يستوي على عرش التجذر في اللغة العربية، فهو متأصّل متجذّر ذلك أنه يتواجد تحت جميع المداخل المتواجدة في المعاجم والقواميس. فالكلمة تلفظ متماثلة أختها في شتى السمات، إلا أن الدلالة التي سجّلها القاموس للكشف عن أغوار هذه اللفظة لم تكن دلالة موحّدة بل تنشعب الدلالات وتتفرّع الشحنات للتلك اللفظة في القاموس، وهذا التلوين الدلالي في المفردة تحت الكثير من المداخل ينجب هومونيمياً يشار إليه بالهومونيمي القاموسي (Ghazali، ٢٠٤٤م، ص ٥٢٦). فخير مثال لهذا القسم هو كل لفظة وردت في المعجم وتعددت معانيها المعجمية.

فكلّ لفظة في القاموس تقف بالدارس لتحدوه إلى طرق دلالية موسّعة تتضمن ثروة دلالية جديرة، فالمؤشر الاسمي "الفأس" في المعجم الوسيط ينطوي على معان مغايرة من دون أن تحمل هذه المعاني عنواناً مميزاً، هي آلة ذات يد ملساء خشبية وسنّ عريضة من الحديد يحفر بها وفأس الفم طرفه الذي فيه الأسنان، وفأس الرأس طرف مؤخره المشرف على القفا (مصطفى وآخرون، ٤٤٢٦ هـ.ق، مادة فـأس). فهذا التماثل الهندسي للمؤشر الاسمي "الفأس" تماثل دلالي قاموسي لا يثمر ثمره الناضج ولا يعاين حق المعاينة ولا يعطى عناية ملحوظة، إلا إذا ارتصفت دلالاته المغايرة جنباً بجنب في قائمة القاموس، وكذلك الحال في المؤشر الاسمي "الخِطْرُ"، فهو يدل على نبات يختضب به واللَّبن الكثير الماء والغضن والإبل الكثيرة وما يتلبد على أوراك الإبل ومكيال ضخم لأهل الشام (المصدر نفسه، مادة خطر). فتتنوع دلالات "الخطر" تنوّعاً مترامياً يولد هومونيمياً قاموسياً دسماً كما يخلق شبكة دلالية متقطعة تتبدّد فيها الخيوط العلائقية حتى الاضمحلال التام.

ولا يكون الهومونيمي القاموسي في اللغة العربية حكراً على المؤشرات الاسمية، بل يتعدّاها ليستوعب المؤشرات الفعلية والحرفية، فيضرب بالمؤشر الفعلي "احتجز" مثلاً لهذه العينة من الهومونيميات، فهو يدلّ على معان عدة منها: امتناع، وأتى الحجاز، وشدّ الحزام على الوسط، والاحتراز وتجمّع اللحم وتضامّه واحتمال الشيء في حجزته (المصدر نفسه، مادة حجز)، إلا أن الهومونيمي القاموسي للمؤشرات الحرفية لم يجد حضوراً متكاثفاً في قاموس اللغة العربية، فهو نضب المعين. لكنه لا ينعدم

1. Lexical Homonyms

انعداماً تاماً، فالمؤشر الحرفي "حتى" مثلاً، يدلّ فينة على ما يدل عليه "إلى"، وتارة يدل دلالة "كي"، وأخرى يأتي ليدلّ على "إلّا"؛ فعليه يمكن القول بأنّ الهومونيمي القاموسي سمة مستساغة للغة العربية ويفتح المعجم نافذة ملوّمة من هذا الكينون اللغوي أمام المتلقي.

٦ـ٦ـ الهومونيمي القواعدي/ النحوي

يجد الهومونيمي القواعدي[1] محلّه عند استحضار المؤشرات اللغوية التي لا تنحصر تبايناتها على الشحنات الدلالية في مداخل القواميس أو المعاجم، بل تتعدى ذلك لتستوعب الجوانب القواعدية للكلمة. فالأفعال التي تجد لنفسها مظهري اللزوم والتعدي أو المفردات التي تنشق لتصبح مرة ذات وظيفة فعلية في المعجم اللساني التداولي وأخرى ترد لتقف صارمة لتلعب وظيفة المؤشر الاسمي أو المفردات التي نفخت فيها روح التراوح التوظيفي فتتأرجح في تناوب مستمر بين الفعلية والاسمية والحرفية وغيرها من التأرجحات اللغوية تخضع بتفاخر لأن تردف في قائمة الهومونيمي القواعدي (Rahmati، ٢٠١٥م، ص ٨٢). ويضرب بلفظة "جَد" و"جِد" مثلاً لهذه الشريحة من الهومونيميات اللغوية. وقد ترد الكلمات التي تختلف في التشكيل وتتماهى من دون التشكيل ووضع الحركة، بكثرة في اللغة العربية. ويمكن أن يعد هذا الهومونيمي النحوي القواعدي المتأصل في اللغة العربية لتواتره في اللغة هومونيميّاً ميتاً تبعاً للاستعارات الميتة التي نحيا بها ونعيش ونستعملها مراراً من دون أن نعي بأنها استعارات ترسخت في اللغة وتجذّرت فيها، فتعوّدت الآذان على استماعها فبدأت لاتفرّق بينها وبين اللغة الاعتيادية.

ولا يخفى أنّ الجناس الذي حلّ مكانة مرموقة في التقنيات الأدبية، نبّه إليه اللسانيون على أنه توظيف للهومونيمي توظيفاً محترماً هذا ما يؤكد على الأهمية الذي يحتظيها الهومونيمي القواعدي النحوي وما يترك من بصمات قاتمة على تنشيط الأفضية اللغوية. ومن أبرز نماذج الهومونيمي القواعدي المفردات التي تتماثل في حالتي الإفراد والجموع، نحو: "فلك" و"دلاص".

٦ـ٧ـ الهومونيمي الترقيمي/ الكتابي

الهومونيمي الترقيمي أو الكتابي يتجلّى أكثر ما يتجلّى في التماثل الترقيمي الكتابي للألفاظ. فكل كلمة تمظهرت في صورة مماثلة للأخرى تماثلاً كتابياً تدخل في فئة الهومونيمي الترقيمي أو ما يسمّى في الإنجليزية بالهوموغراف[2](Abd-ul-ameer، ٢٠١٠م، ص ٦). فتكون الكيفيات الترقيمية في هذه الألفاظ على السواء من دون الكيفيات الصوتية. فتسمية هذا النوع بالهومونيمي تأتي عفواً، إذ تقع فيه عدسة البحث على الرؤية البصرية للفظ من دون غيرها من السمات. والهومونيمي الترقيمي يشكّل في اللغة العربية حلقة موسّعة من الألفاظ، ذلك أنّ الحركات الإعرابية لم تسجّل في كثير من الألفاظ فتتأبط اللغة العربية شحنة جديرة من هذه الظاهرة من دون أن تصاب بالعقم التعبيري أو اللغوي فيتسمّر الناظر عندما يتطلّع على الكمية الهائلة من هذه الألفاظ التي تلملم شتاتها في ظلال الهومونيمي الترقيمي للغة العربية. فـ"كتبتُ" و"كتبتَ" و"كتبتِ" و"كتبَتْ" و"كُتِبَتْ" تتّحد في الكتابة وتتباعد كلّ منها عن أخواتها في هندستها الصوتية. فترتبط هذه الأسرة في حلقة الهومونيميات اللغوية بحساسية فائقة بالجسدنة الصوتية أو الإبراز الصوتي للفونيمات المتباينة.

---

1. Grammatical Homonyms
2. homographs

٦ـ٨ـ الهومونيمي الصوتي

يتبلور الهومونيمي الصوتي[1] على صعيد التجسيد الصوتي المتماثل. وذلك يتجلّى في اللغة الإنجليزية سافراً عبر المؤشرين اللفظيين "see" و"sea" (Ghazeli، ٢٠٤٤م، ص ٥٢٧). وينضب معين هذه العيّنة اللسانية في اللغة العربية، ويعود السبب إلى التوزيع الصوتي للأبجديات المتشابهة في اللغة العربية. فالمجموعات المتشابهة من الحروف تلفّظ بشكل مغاير وفئات الأبجديات المتقاربة تشهد تباينات صوتية سافرة فـ«س، ث، ص» و«ت، ط» و«ز، ذ، ظ، ض» تلفظ بصورة متباينة. ويندر تواجد الهومونيمي الصوتي في اللغة العربية يخرجه من الانعدام وذلك في الموازنات الشعرية والتعديلات الصوتية في نحو:

رَأَيْتُ النّاسَ قَدْ ذَهَبوا إلى مَنْ عِنْدَهُ ذَهَبُ

رَأَيْتُ النّاسَ قَدْ مالوا إلى مَنْ عِنْدَهُ مالُ

(المصدر نفسه).

فرغم الخلاف الترقيمي بين "ذهبوا" و"ذهب" و"مالوا" و"مالُ" الهندسة اللفظية لهذه المؤشرات تتماثل، وهذا التماثل يخلق هومونيمياً نادراً يقلّ ويندر في اللغة العربية.

٦ـ٩ـ الهومونيمي الوظيفي

الحشد الغفير من الهومونيميات المتواجدة في اللغة فسح المجال لاستحضارها عبر التوظيف في الحقول المتباينة. وما تواجد عن هذا الطريق يسمّى بالهومونيمي الوظيفي. فيمعن البحث النظر في المؤشر الاسمي "الفأرة" نموذجاً فهو في المعنى الاعتيادي يشير إلى **«حيوان من الفصيلة الفأرية ورتبة القوارض، يأكل كلّ شيء، تلد أنثاه من أربعة إلى سبعة صغار وعمرها لا يتجاوز خمسة وثلاثين يومًا فهذه الفأرة فأرة البيوت وأمّا فأرُ الظَّهْرِ: لحْمُه، وفأرُ المِسك: وعاؤه الذي يجتمع فيه، والفأرةُ في حقل النجارة: أداةٌ للنَّجَّار يُقشَرُ بها الخَشَب، وفي ميدان أجهزة الحاسوب وأدواته يشير الفأر إلى جهاز صغير في حجم قبضة اليد يشبه شكل الفأر، يتمّ توصيله بالحاسب عبر كابل، وعندما يتمّ تحريك الفأرة على السَّطح تقوم كرة دائريّة أسفلها بإرسال المعلومات للحاسب فيتحرّك المؤشّر على الشّاشة، وبالضغط على زِرّ معيَّن يتمّ تنفيذ الأمر المشار إليه»** (معجم المعاني الجامع، مادة فـأر)؛ و«**سُوْسُ الفَأر (= العَلَسُ الدَّمَوِيّ)، فَأْرَةُ المَفْصِل؛ فأرة ضوئية**» (قاموس مصطلحات عربي انجليزي، مادة فـأر). فهذا التباين في حقل استعمالات الكلمة ـ مثلاً الفأر ـ خلقت معاني مستجدة وأنتجت هومونيمياً وظيفياً، مما يمكن القول في شأنه بأنه هو الهومونيمي المتنامي أي الهومونيمي التوليدي، إذ يتصاعد ويتزايد عدد دلالاته باتساع الحقول وانبساط الميادين التي يُوظّف هذا المؤشر كطابوقة لتشييد أبنيته اللغوية الشيقة. وما يلفت النظر في الهومونيمي الوظيفي هو أنّه يتعلق في أغلب الأحايين بالساحات التي تبصر النور عن كثب. فقبل اختراع الحاسوب لم يكن لفأرة الحاسوب أي مصداق عيني كما أنّ فأرة المفصل لم يعرفها أحد إلا بعد أن تقدمت العلوم الطبية وراحت تبحث عن الآلام العظامية والمفصلية حتى أسمت أجزاء الركبة وخرج من بطن هذه التسميات "فأرة المفصل" مثلاً.

1. Homophones

٦ـ١٠ـ الهومونيمي التركيبي (الجملي)

لا ينحصر الهومونيمي في التباينات الدلالية للمؤشرات اللفظية المفردة، أي الكلمة بأقسامها الثلاثة من اسم أو فعل أو حرف، بل يتعدى ذلك ليستوعب التراكيب الإضافية والوصفية والجمل بشتّى أنواعها الفعلية والاسميّة وتفريعاتهما. فالتركيب الإضافي نحو: "مساعدة الوالدين" يوحي بمعنيين؛ الأول المساعدة التي يقدّمها الوالدان، والثاني المساعدة التي يطلبها الوالدان ونحو: "إعانة الدولة" ما يعني الإعانة التي تقدّمها الدولة والإعانة التي تمدّ الدولة يدها نحوها. ونحو: "اتجاهات مستقبلية" (المصدر نفسه، ص ٢٠). فهي إما تعني الاتجاهات التي بدأت في الراهن وتمتد إلى أن تصنع المستقبل وتزدهر فيه كما تعني الاتجاهات التي لم تكن متواجدة في الحاضر بل تولد في المستقبل. الهومونيمي في هذه التراكيب وأمثالها وينتج عن الغموض الذي ينجم عن الخصائص الدلالية للتراكيب الخاصة، ففي ما ضربناه مثلاً للهومونيمي التركيبي تركيب "المصدر + الاسم" هو الذي يشكل الإبهام المؤدي إلى الهومونيمي، وعلى صعيد الجملة يمكن أن يضرب بالآية: ﴿**لا أعبد ما تعبدون**﴾ (الكافرون ١٠٩: ٢) مثلاً. فتتأرجح معناها بين معنيين: الأوّل، لا أعبد الذي تعبدونه؛ والثاني، لا أعبد عبادتكم. فالهومونيمي التركيبي لم ينشأ من الفراغ، بل يولد في عباءة الغموض في أغلب الأحيان، إلا أن هندسة الهومونيمي التركيبي لم تكن مضبوطة وخطوطها العريضة مشوّهة.

٦ـ١١ـ الهومونيمي المضاد/ العكسي

هذه الشريحة من الهومونيميات ظاهرة متواترة في اللغة العربية وتُدرس تحت ما يسمى بالتضاد، وهي تؤدي إلى تعقيد النصوص وغموضها (Barjes، ٢٠١١م، ص ٤٤)، إلاّ أن هذا الهومونيمي لا يحتضن جميع المضادّات التي يروح الحديث عنها، بل يعني تلك المفردات التي تنبثق الدلالة المضادة من بنيتها من دون أن تنقاس بمفردة أخرى ليتحقق التضاد فيها وتنعكس صورتها في العديد من المفردات. تعمل هذه الشريحة من الهومونيميات في إنعاش اللغة وإثرائها خلافاً لمن يعتقد أنها تشين اللغة وتنهكها، بل تتيح فرصة ثمينة لظهور إعجاز اللغة على خشبة النص. وهذه الكثرة الكاثرة من الهومونيميات العكسية المضادّة تتمظهر عند المؤشرات التالية وما يشابهها: الجون الذي يعني الأسود والأبيض، والصريم الذي يعني النهار والليل، والسليم الذي يعني الجريح أو الصحيح، والأبيض الذي يتراوح معناه في بعض الظروف بين السواد والبياض، كما أنّ البصير يراد به تارة البصير الذي يرى بعينه الأكوان وأخرى يقصد به المكفوف الذي فقد بصره وانحرم عن رؤية ما يحدث حوله. ينبغي التمييز بين ما يكون هومونيميا عكسياً، وهو مؤشر اسمي واحد تنثني دلالاته ومعانيه وتنشق إلى معنيين مضادّين سواء كان هذا الانشقاق اعتباطياً أو ناتجاً عن علاقة ما وبين ما هو مضاد حقيقي تتكوّن العلاقة العكسية فيه بين مؤشرين لا علاقة بينهما إلا الضدية التي نشأت صدفة في نحو "الذهاب" الذي يعاكس "المجيء" ويخالفه.

٧ـ مصادر الهومونيمي وأسبابه

لتسليط الأضواء على كيفيات الهومونيمي والغور في ثناياه والكشف عن مظانّه، ينبغي للبحث أن يوجّه عدسته نحو مناجم الهومونيمي ومصادره ما يؤدّي إلى استشفاف ما يتوارى في الحجاب حيال هذه الظاهرة اللغوية. فيسرد البحث فيما يلي قائمة تحتوي على ما تبدّى للبحث من مصادر الهومونيمي اللغوي وأسباب نشأته في اللغة العربية.

٧ـ١ـ التطورات المعنوية الدلالية

المعنى كأهمّ عضو من أعضاء اللغة. لا شك ينمو ولا شك يتغذّى بكثير من العناصر اللسانية البيئية يتأثّر بها ويؤثّر عليها. وسرعة هذه التغيّرات الدلالية التي تطرأ على الكلمة أحياناً تفوق سرعة التغيّرات القواعدية واللفظية. وهذه التغييرات تتسع إلى أن تؤدي إلى انشعاب دلالة الكلمة وتفريع معانيها تفريعاً شبه تام (البهنساوي، ٢٣٣٣م، ص ٦٦ ـ ٧٧). فنقطة انفصال المعاني وتشعبها هي مطلع فجر للهومونيمي. وما يشترط في هذه الظاهرة هو انعدام دلالة الكلمتين دلالة لا يستشعر فيها ألطف الخيوط العلائقية التي تسفر عن التوحد الجذري لهما والتوسعات الدلالية التي تنشأ عن الاستعمال الاستعاري والمجازي تستوعب حيّزاً جديراً من هذه التغيّرات المعنوية الدلالية. ومما ينشأ عن هذه التغيّرات المعنوية الدلالية يرتبط بحساسية فائقة بالمفردات التي تتباين قراءاتها وتتشاكل كتابتها واختلاف القراءات تنبعث عن اختلاف اللهجات أو الأخطاء التي تحدث خلال عملية الاستماع، الأخطاء التي تستمر لتفتح مجالاً لنفسها في خزانة اللغة المرنة. وخير نموذج للهومونيمي الناتج عن التطورات الدلالية هو ما ينتج عن المجاز، حيث تتوسع دلالة اللفظة بتوظيفها توظيفاً مجازياً مثل دلالات لفظة "الهلال" التي نشأت عن علاقة التشابه، فهلال النعل وهلال الأصبع وهلال الصيد وهلال السماء تتشابه هندستها وتقترب بعضها من بعض فكلها سميت هلالاً لتقوّسها وانعطاف هيكلها ثم تناسى هذا الجانب الذي يمثل القاسم المشترك بين هذه الدلالات وهذا التناسي وقّع على إنشاء الهومونيمي في اللغة العربية. أما التغيرات الصوتيه فتبرز سافرة في المؤشر الاسمي "الأين" الذي يدلّ على الإعياء كما يدلّ في نفس الزمن على نوع من أنواع الحيات، والأصل في هذه الحية أن تسمى بـ"الأيم"، فتداخلت الأصوات إلى أن تحوّل لفظ الميم نوناً وحدث التماثل عن صدفة (المصدر نفسه، ص ١٥٠).

٧ـ٢ـ التطورات القواعدية التركيبية (على صعيد اللفظة المفردة أو الجمل)

التطورات القواعدية التركيبية تشكّل منصّة نصيّة راقية يتّكل عليه النصّ اتكالاً سافراً. وهذا المنوال يتجلى أكثر ما يتجلّى في اللفظة عندما تطرأ عليها انقلابات دلالية لأجل استحضارها في خانة من التراكيب النصية اللغوية الخاصة. وفي هذا الحقل، يمكن للبحث أن يضرب مثالاً بالمؤشر الاسمي "الطبخ" حيث يترواح معناه بين "الطهي" و"الصنع" في البيت التالي:

قَـالوا اقْتَـرِحْ شَـيْئاً نُجِـدْ لَـكَ طَبْخَـهُ قُلْـتُ: اطْبُخُـوْا لِـي جُبَّـةً وَقَمِيصَـا

(عبدالحميد، ١٩٩٨م، ص ٤٠٦)

فالتركيب هو الذي يساعد على التقاط المعنى التقاطاً مغايراً. ويلج هذا الأمر في مديات التراكيب الجملية المعقدة. هذه العينة من الهومونيميات ذات الرؤى العميقة التي تؤدي إلى استحداث أساليب فنية جديدة. ويدخل البوليزيمي[1] أي التعددية الدلالية في هذه الحلقة عند البعض، إلا أن فئة من اللسانيين يرسمون للتعددية الدلالية حدوداً متمايزة، فلا يرون أي خطوط علائقية لهذه التقنية والهومونيمي خلافاً لمن يعتقد أنّ التعددية الدلالية تقع في قائمة الهومونيميات المعنونة بـ«الهومونيميات المترابطة».

1. polysemy

٧ـ٣ـ الاشتباكات الثقافية واقتراض المفردات وتماهيها

الاشتباكات الثقافية تؤثر على خلق الهومونيمي تأثيراً لا ينكر. فاختلاط الدول المتآخمة وتزايد علاقاتها تنشئ كمية ملفتة من الألفاظ المتماثلة. وهذا التزاوج اللساني يعتبر خلطاً لا مفرّ منه. وعملية خلق الهومونيمي تستمر بين الثقافات عبر اقتراض الألفاظ المماثلة بعضها من بعض. فبعدما ترد اللفظة من الثقافة المتآخمة إلى الثقافة المتأصلة وتجد لنفسها قريناً متوأماً تواصل حياتها اللغوية في البيئة الحديثة فتتجذر في اللغة وبعد فترة تتناسى بأنها مستعارة، بل تصبح لفظة متجذرة كقرينها. ويظن الظانّ أنها من أصل اللغة وما منحها أن تتوسّع في معناها هي الخيارات القاموسية لا الطوارئ البيئية أو التجاورات اللسانية (عبد التواب، ١٩٩٩م، ص ٣٢٦)، وهكذا تتكاثف الهومونيميات عن وعي أو لا وعي في عباءة اللغات طوال القرون والسنوات، وهذا مما يُصعب على الدارس عملية التمييز بين المفردات المتزاوجة والمفردات المتأصلة عند القيام بإجراء الاختبارات اللغوية واللسانية.

وتلعب الصدفة هنا دوراً أساسياً في إنشاء العلاقات واندماج المفردات. وينتهي الأمر إلى أن ترحّب الأنظمة النحوية القواعدية الدلالية بالألفاظ المغتربة ترحيباً تعطي شأناً لائقاً لها. فتنسجم المفردة المقنعة مع شتّى زوايا المفردات الأليفة من دون أن تشوّه فصاحة الكلام أو تبدو بشعة كريهة لدى الأسماع أو عند الاستماع. ويضرب البحث بلفظة "الكلب" مثالاً، فهي في العربية الأصيلة تعني كلَّ حيوان عقور وفي الألمانية تعني الآلة القابضة. فهي وردت من الألمانية إلى العربية فتشعّبت دلالاتها وتفرّعت معانيها، إذ بدأت تدلّ على الكلب العقور والآلة القابضة، كلاهما إضافة إلى دلالتها على أول زيادة الماء في الوادي، وحديدة الرحى في الرأس، وخشبة يعمد بها على الحائط، وسمكة على هيئته، والقِدّ، وطرف الأكمة، ومسمار مقبض السيف، وسير أحمر يجعل بين طرفي الأديم إذا خرز، والكلب من الفرس الخط الذي في وسط ظهره منه (الزبيدي، ٤٤٤٤هـ.ق، ص ٨٨١). **«وقد حدث هذا في اللغة العربية القديمة، ففيها أن السكر نقيض الصحو، وفيها أيضاً أن كلّ شق سُدَّ، فقد سكّر؛ والسّكر: سدّ الشق، والمعنى الأول عربي، وأما الثاني فهو معرب من الآرامية، وقد فطن إلى هذا شهاب الدين الخفاجي، حين قال: لا يضرّ المعرب كونه موافقاً للفظ عربي؛ كسكر، فإنه معرب، وإن كان عربي المادة، بمعنى: أغلق. قال الله تعالى: "سكّرت أبصارنا"»** (البهنساوي، ٢٠٣٣م، ص ٤٥ ـ ٤٤).

٧ـ٤ـ التشاكلات الكلامية في اللهجات المختلفة

تخضع الكلمة لأن تكون فيها وجه دلالي مميز في لهجة ما ووجه دلالي مغاير في لهجة أخرى. ويحتضن المعجم الفصيح في طياته كلا المعنيين. ومن أبرز النماذج بهذا الصدد يمكن الإشارة إلى المؤشر الاسمي "العجوز" الذي يتمتع بعشرات المعاني لم تتح له هذه السعة الدلالية إلا التشاكلات الكلامية اللهجية. ومن معاني العجوز يمكن الإشارة إلى الشيخ، والعجوزة، والأرض، والأرنب، والبقرة، والحرب، والخمر، والخيمة، والحياة، والشمس، كما يمكن أن يضرب بـ"ألم" للهومونيمي الذي صدر عن التشاكلات الكلامية، فهو يعني القلم بالدارجة، كما يعني الوجع بالفصحى (koddouri، ٢٠١٢م، ص ٣٩).

٧ـ٥ـ حسن التعبير أو التعريض

التعابير التي تركن في مواضع شتى وفي أحايين كثيرة تتأرجح عن استعمالاتها المغلقة المخصصة لها، بل تجنح إلى أفضية ذهنية منفتحة بغية ارتقاء التعابير وتحسين العلاقات. فنتيجة ذلك توليد كمية من التعابير والمصطلحات تتمايز ووضعها اللغوي فيضرب المثل في اللغة الإنجليزية بالمؤشر الاسمي "bull" البقرة العظيمة والكلام التافه الذي لا طائل تحته مثلاً لهذا الهومونيمي الناتج عن حسن التعبير فهو صورة من صور الاستعمال المجازي للفظة (المصدر نفسه، ص٤٠). وتدخل في هذا الإطار المفردات التي تستعمل

خارج عن مواضعها الحقيقية؛ فمثلاً لفظة الحمار في معناها القاموسي تطلق على الحيوان الأليف الذي يحمل بضائع الناس، إلا أنه يطلق على الإنسان احتقاراً له ليدلّ على السفاهة الذي تضخم في شخصيته أو يرد ليشير إلى السذاجة المذمومة التي ترمي بالرجل إلى أغوار التفاهة. وكذلك مخاطبة الرجل الشحيح الذي أفرط في بخله بـ"يا حاتم" على سبيل التعريض تكون الباعث على إنشاء هومونيمي خارق بإيحاء دلالي منزاح، وإطلاق "العبقري" على الشخص الذي أخذته الغباوة إلى التصرفات اللامنطقية يدخل في مضمار الهومونيمي الناشئ عن التعريض، فيتواتر عدد هذه الهومونيميات الناتجة عن التعريض أو حسن التعبير في الأدب وهي إحدى آليات الفصاحة وأروع أسباب البلاغة.

٧ـ٦ـ الحذف

الحذف المتواجد في المؤشرات اللفظية يسهم إسهاماً لائقاً في خلق كميات هائلة من الهومونيمي الصوتي (المصدر نفسه). والحذف بصوره المختلفة من الحذف الضمائري والحذف الجملي والحذوف التي تأتي المتكلم عفواً حين يوجّه كلامه إلى المتلقين يمهد أرضية خصبة للإنشاء الهومونيمي اللفظي. هذه الصور تتبلور عند إنشاء الأوزان الشعرية أو الأسجاع في بعض المقاطع الكلامية فتصطدم اللفظة بأختها التي تماثلها بالحروف وتغايرها في المعنى. وهذا النوع يلعب دوراً ريادياً في ترقية مستوى النص الأدبي، وذلك بحقن شحنة دلالية جديدة إلى اللفظة المنتقاة وإحداث طقس ثنائي يتمكّن المخاطب إثره من مقارنة الألفاظ التي تتداعى في باله.

وتتراءى هذه الحذوف المؤدية إلى الهومونيمي في المؤشرات التي تحذف منها ياء المتكلم في أغلب الأحايين، وذلك نحو تماثل المؤشر الاسمي "دين" و"ديني" و"ربّ" و"ربّي" عند حذف الياء في اللغة العربية. ويظهر التماثل عند حذف المفاعيل في الآونة التي دلّت عليها القرائن، لفظية كانت أم معنوية. وهذا ما يبرز سافراً في المؤشر الفعلي "تعرفون" الموحي مرة بالمعرفة التامة ومرة أخرى يشير إلى مفعول مقصود، حذف لأجل الدلالة القرائنية.

ويعدّ حذف المضاف وبقاء المضاف إليه على دلالة المضاف من المواضع التي يترعرع في خضمّها الهومونيمي في اللغة العربية. وهذا ما يؤكد عليه ابن درستويه في حديثه عن المشترك اللفظي قائلاً: «**والأمة لاتكون بمعنى الحين إلا على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه كأنه قال بعد حين أمة أو بعد زمن أمة**» (البيتي، ١٩٨٨م، ص ٤٧).

٧ـ٧ـ الغموض

إحدى المؤشرات التي تعدّ الحجر الأساس في حقل الهومونيمي ونشأته هي استيعاب اللغة لمظاهر الغموض والتعقدات الدلالية، ففي اللغة العربية هنالك غموضان: غموض نحوي قواعدي وغموض لغوي لفظي (Kaddouri، ٢٠١٢م، ص ٠٠). فمن جهة، يطرأ على اللغة غموض لغوي، ذلك أن الجملة تستوعب مؤشرات لفظية تستأهل بأن تتوزع في فضاءات نصية متباينة على معان شتى لا مساس لها بالخيوط العلائقية. ويضرب المثل بهذا النوع من الهومونيمي الناجم عن الغموض اللفظي بـ"إن الأمر لجلل"، فـ"جلل" يتوزع معناه على قسمين: العظمة والجلال، والبداهة والدونية.

٧ـ٨ـ التفائل والتشاؤم

إحدى الأسباب التي تسبب بلورة الهومونيمي وتواتره في اللغة العربية هي الرؤية المتفائلة للأمور والأمل في حدوث الأمور وجريها على مسلك حسن خلافاً لما يتوقّع. فالمؤشر الاسمي "المفازة" يعني في بنيته الدلالية الطافحة مكان الفوز والخلاص من

مغبّة الشر والهلاك. لكن العرب يعبر عن البيداء الذي لا ينجو من ورطتها إلا القليل المحظوظ بـ"المفازة" تعبيراً حسناً عن أمل يُرجى حدوثه (المصدر نفسه، ص ١٨). فهذا التوظيف الدلالي المعاكس يخلق من المفردة الواحدة معاني متباينة مما يؤدي إلى توليد هومونيميات عديدة في جعبة اللغة الموسعة. والملاحظ في هذا الشأن هو أن الهومونيميات الناشئة عن الرؤية المتفائلة في جل الأحايين تندرج تحت ما يسمى بالهومونيميات المضادة أو المعاكسة التي تتجلى في شرائحها الدلالية علاقات ضدية مما ينقض انعدام الخيوط العلائقية في تعريف مصطلح الهومونيمي. وهذه الهومونيميات تحطّم الرقم القياسي عندما تقاس بأخرى الهومونيميات.

٨ـ دور الهومونيمي في التقنيات الأدبية

للهومونيمي وظائف أدبية منوعة تتيح للأديب أن يرسم بريشته ما يريده بأحسن صورة ممكنة وتبرز للمتلقي مدى الأهمية التي تحتظيها هذه التقنية عندما يلاحظ العدد الكبير من المستويات الأدبية التي تقوم على أساس الهومونيمي. ومن هذه التقنيات يمكن الإشارة إلى ما يلي:

٨ـ١ـ المشاكلة

مثّلت المشاكلة محاولة جادة لانعقاد الهومونيمي، وفي رؤية أخرى هي تقنية تستثمر الهومونيمي ليأتي إلى الواجهة. أما المشاكلة لغة فـ**«من الفعل "شاكل" على وزن "فاعل"، والفعل الثلاثي " شكل"، والشّكل المثل، وشاكل الشيء إذا شابهه وكان مثله في حالاته وشاكل كل منها صاحبه إذا ماثله، وجاء لفظ " الشكل" في القرآن الكريم بمعنى المثل والنظير والضّرب والهيئة، قال تعالى: ﴿وآخر من شكله أزواج﴾** (ص ٨٨: ٥٥). **أما مفهوم المشاكلة في اصطلاح البلاغيين فقد حدّه السكاكي بقوله: هي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، الأصل في آلية المشاكلة أن يعدل المتكلم عن المعنى الأول للفظ المشاكل فيأتي اللفظ الثاني المشاكل»** (السكاكي، ٢٠١١م، ص٥٣٣). فالمشاكلة تقع في اللفظ المشاكل تقدّم أو تأخّر أو قدّر في المعنى، كما هي الحال مع المشاكلة التقديرية التي يلمح فيها اللفظ المشاكل ضمناً في المعنى، ويدرك بالعقل والتأمل والتفكر والاسترجاع بمعنى يقابل المذكور بلفظه الدال على قرائن الحال؛ والمشاكلة يتمثّل بها في نحو **«الشعر الذي ينسب إلى أبي صخر الهذليّ:**

قـــالوا اقْتَـــرِحْ شَـــيْئاً نُجِـــدْ لَـــكَ طَبْخَـــهُ قُلْـــتُ: اطْبخُـــوا لـــي جُبَّـــةً وَقَميصـــا

فجاءت "اطبخوا" في عجز البيت للمشاكلة، بمعنى "خيطوا"» (الفهد، ٢٠١٥م، ص ٢٦).

وهنالك نوعان من المشاكلة اللفظية: التحقيقي والتقديري. «**وسار على ذلك المعنى ابن مالك والقزويني والتفتازاني والحموي وشراح التلخيص**» (المصدر نفسه، ص٢٧). ومن منظور أسلوبي ما يبرز أهمية المشاكلة في السياق هو الإيحاء الصوتي الذي تلقيه المشاكلة على جسد النص والإيقاع الموسيقي الذي يجد المعنى إثره طريقاً إلى أغوار المتلقي ومكامن وجوده. وكل هذا ينبعث عن التكرار الذي **«يثير دهشة المتلقي مفعّلاً ملكة التأمل لديه، فعنصر المباغتة التي تعكسه لنا صورة المشاكلة هو سرّ فاعليتها وهو تطور سياقي ذو أثر جمالي خلاب في الشكل والمضمون ويزداد التخييل عمقاً في نوع المشاكلة التقديرية، التي تتضمن الخفاء للفظ المشاكل، إذ يلمح تقديراً في العقل والسياق حتى يتمكن من النفس حق التمكن من خلال تأثيره الإيحائي بينما تتلاشى القيمة الإيقاعية لهذا النوع لانعدام آلية التكرار اللفظي أو الترديد في سياقه»** (المصدر نفسه، ص٣٤). وقد تركت هذه التقنية بصمات قاتمة في أشعار الشعراء الكبار أمثال المتنبي، فهو يقول:

وَمَـــنْ يُنْفِـــقِ السّـــاعاتِ فِـــي جَمْـــعِ مَالِـــهِ مَخافَـــةَ فَقْـــرٍ فَالَّـــذِي فَعَـــلَ الفَقْـــرُ

(المتنبي، ٢٨٨٨م، ص ٨٨)

ففي هذه الوحدة «**ذكر الفقر الأول على حقيقته، وناسبه بالصحبة أن يشاكل بقفر آخر ـ على وجه المجاز ـ مع مزية التخييل والإيحاء اللذين يبعثان على تأمل المعنى البليغ، وسر جماله فذلك البخيل الذي يهدر جل وقته وهو يجمع المال، ويظن بذلك الخير، غير أنه بذلك العمل ينشغل عن الإنفاق على نفسه، فكأنه الفقير المعدم في حاله وصورته التي صار إليها بسبب بخله**» (المصدر نفسه، ص ٢٨).

أما علاقة المشاكلة والهومونيمي فتتبلور في أنّ الكثير من الألفاظ التي يوظّفها الأدباء لإنشاء وحدة متشاكلة غير متواجدة في جداول القواميس والمعاجم، بل يصنعها الأديب صنعاً ويدفع بها إلى نطاق اللغة الاعتيادية. ففي المثال الذي أشير إليه "الطبخ" لا يستعمل أبداً في حقل الخياطة وإعداد الملابس، بل الشاعر يستمد بذاكرته وقوة خياله ليأتي بالمؤشر الفعلي "اطبخوا" بدلالة متمايزة هي "اصنعوا"، فالمشاكلة لا تعمل في استثمار الهومونيميات اللفظية وتوظيفها، بل تعمل أكثر ما تعمل في إحداث الهومونيميات وإنشاء حلقات مستجدة منها. فهي إلى الخلق أقرب منه إلى الاستدعاء. والمشالكلة من هذا المنظور تفاعل مستمر في إنتاج أبعاد خافية من الهومونيمي ودمجها بهياكل اللغة، وذلك إثر الطاقة التي تتميز بها هذه التقنية فهو «**نمط أسلوبي يقصد الانحراف**[1] **أو العدول أو التغاير الذي يصاحب الدلالة السياقية للفظين المتماثلين فالتحول الحاصل في التركيب بإعادة عنصر بنائه على نسق مخالف لما سبق ذكره في السياق نفسه**» (المصدر نفسه، ص ٣٣).

والجدير بالذكر أنّ المشاكلة التي تعضد الهومونيمي وتتفاعل معه تفاعلاً ناشطاً تتحدد في المشاكلات اللفظية من دون غيرها من المشاكلات الصوتية التي تتضمن التغايرات الإيقاعية للفظة نحو: الإدغام أو التوازن والسجع أو المشاكلات النحوية التي تنصبّ في أطر العمليات النحوية المتأثرة بالعلاقات التوزيعية وحقول التجاور الحركي من التماثل في الرفع والنصب والجر. فلا تدخل هذه التشاكلات أي النحوية فيما يرصده البحث من المشاكلات التي تشكل النواة لإحياء الهومونيمي.

٨ـ٢ـ المثلثات

إحدى صور الهومونيمي الترقيمي في اللغة العربية هي المثلثات اللغوية التي تستوعب مساحة ملحوظة في الأدب العربي. أما المثلثات اللغوية فهي «**من مظاهر الدرس اللغوي عند العرب، وهي فن يجنح إليه كل من أراد أن يتّخذ إلى الأدب سبيلاً. قال ابن مالك في إكماله يبين هذه الحقيقة: «فإنّ تثليث الكلم فن تميل نفوس الأذكياء إليه ويُعذر من قوي حرصه عليه، فإن فوائده في سبل الأدب كثيرة، وإصابة النفع به غير عسيرة. فمن فوائده انقياد المتجانسات لطالبيها وامتياز الملابسات بكشف معانيها. أول من فتح لهذا الفن بابه إمام اللغة أبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب فعمل كتاباً منثوراً في المثلثات صغيراً، كان له فيه فضيلة السبق لا الاستيعاب**» (الخطيب، د.ت، ج ٣، ص ٥١٥). والمثلثات اللغوية هو كلّ مؤشّر لفظي يقرأ بثلاثة أوجه. وهذه الوجوه تأتي عن الخلاف في كيفيات الوضع العلاماتي في فاء الفعل وعين الفعل ولام الفعل. «**فإذا كان هذا الاختلاف بالحركة يورث اختلافاً في المعنى بين الكلمات الثلاث كالغَمر بمعنى الكثير والغِمر بمعنى الحقد والغُمر بمعنى الجاهل فإننا أمام المثلث المختلف المعنى. وأما إذا كان هذا الاختلاف بالحركة لا يورث الاختلاف في المعنى، بل هو واحد: كالأجاج والإجاج والأُجاج بمعنى الستر فإننا أمام المثلث المتفق المعنى**» (المصدر نفسه، ص ٥٩٩). فالمثلثات اللغوية قسمان: قسم متفق المعنى؛ والثاني مختلف المعنى، إلا أنّ القسم الذي يحلّ الصدارة في الهومونيمي الترقيمي هي المثلثات مختلفة المعنى وهي تلعب دوراً رياديا في المستويات الأدبية واللغوية. ومن نماذجها يمكن الإشارة إلى الأبيات التالية:

إنَّ دُمـــــــــــوعي غَمْـــــــــــرُ وَلَـــــــــيْسَ عِنْـــــــــدي غِمْـــــــــرُ

١. deviation

يَـــــا أَيُّهَـــــا ذَا الغُمْـــــرُ أَقْصِـــــرْ عَـــــنِ التَّعَتُّـــــب

فـ"الغَمْر" هو الماء الكثير، و"الغِمر" هو الحقد والظغينة، و"الغُمْرُ" هو الشاب الجاهل (شوقي، ٦٩٨٦م، ص ١٨١).

أو:

حَسَّـــنْتِ نَظْـــمَ كَـــلامٍ تُوْصَـــفينَ بِـــهِ وَمَنْـــزِلاً بِـــكَ مَعْمـــوراً مِـــنَ الخَفَـــرِ

فَالحُسْـــنُ يَظْهَـــرُ في شَـــيْئَيْنِ رَوْنَقُـــهُ بَيْـــتٌ مِـــنَ الشِّـــعرِ أَوْ بَيْـــتٌ مِـــنَ الشَّـــعَرِ

فـ«**صار الحسن لا يوجد إلا في شيئين: بيت من الشّعر نظم في وصفك أو بيت من الشّعر يشتمل على شخصك**» (الضايع، ٢٠١٥م، ص ١٨٨).

رامَ سُـــــــلوكَ الخَـــــــرْقِ مَـــــعَ الظَّريـــــفِ الخِـــــرقِ

إنَّ بَيـــــــانَ الخُـــــــرْقِ مِثْـــــلُ رُكـــــوبِ الشُّـــــهْبِ

فـ"الخَرق" هي الصحراء الواسعة، و"الخِرق" هو الصديق، و"الخُرق" يعني الحقد والحسد (شوقي، ٦٩٨٦م، ص ١٨٢).

فالهومونيمي الترقيمي الذي ناء بكلكله في هذه الأبيات إثر توظيف المثلثات يتجسد في المؤشر الاسمي "غمر" و"الشّعر" و"خرق". ولا يخفى على المتلقي مدى التأثير البالغ الذي يتركه هذا في الأذهان، فالإيقاع الذي تتركه أصداء هذا التكرار ينفخ في تماثيل الألفاظ الجامدة حيوية ما بعدها حيوية وإضافة إلى الإيقاع ما يشد النظر في المثلثات كواجهة لمنصة الهومونيمي الترقيمي هو نسج حلقة دلالية مستغلقة على المتلقي. فعملية حل الاستغلاق عملية تشجيعية تبعث في النفس مكامن الاستفسار والاستفهام وتفتح باباً لكشف الغطاء عن اللغز المتواجد في النص وصولاً للكشف والانفتاح.

٨ـ٣ـ الجناس

الجناس من أبرز التقنيات التي استثمرت الهومونيمي تمثيلاً لها. و«**حدّ البلاغيون الجناس بأن تتفق اللفظتان في اللفظ مع الاختلاف في المعنى، ويظهر من هذا التعريف أن الجناس ذو طبيعة تواترية منشؤها معاودة الألفاظ مع الاختلاف في المعنى، وبذلك يكتسب الجناس شرعية الانتماء إلى هذا القسم من البديع، إذ إنّ جوهر الجناس يقوم على الاشتراك اللفظي، فالتجنيس إذن ضرب من ضروب التكرار الذي يفيد تقوية نغمية لجرس الألفاظ**» (الحميداوي، ٢٠١١م، ص ٥١ ـ ٥٠). ولا تدخل شتى ملامح الجناس من الناقص والاشتقاقي في إطار الهومونيمي، بل الجناس التام هو الذي يتطلب الهومونيمي ويستسقيه تشيداً لرايته وتتفاقم بلاغة الجناس التام وتبلغ أعلى ذراها لأجل الهزة العنيفة التي تحدثها هذه التقنية في تشحيذ الدلالات الساطعة من الألفاظ ويواكب التماثل الصوتي في الجناس التام حركة المعنى المغايرة التي تركن بجانب نقطة المفاجاة.

رغم أن الجناس يقترب من المشترك اقتراباً شديداً حتى يكاد يلتصق به إلا أن لكل منهما حداً قائماً برأسه. أما الجناس فالأصل فيه أن يقع بين كلمتين من جنس واحد أو مختلفين في أجناسهما (الاسمية والفعلية والحرفية). أما المشترك هو اللفظ الواحد صاحب المعاني المتعددة يقع في النص والعوامل السياقية والسباقية داخل نصية كانت أم خارج نصية تساعد المخاطب على استجلاء المعنى الصحيح. ولربما يرد لفظان مشتركان في وحدة دلالية موحدة، غير أنّ كل لفظ يتخذ معناه من بين سائر المعاني المطروحة عبر القرينة ولا يقاس أبداً بالمتجانس الذي ورد بجواره وإذا قورنت إحدى الكلمتين المتجانستين بالأخرى معاً يصبح الناظر المقارن معنيّاً بتقنية الجناس. فهذه الشريحة الدلالية تتمتع بثنائية الاشتراك والتجنيس من دون أن يمسّ الواحد حدود الآخر (الشيخ،

١٩٩٩م، ص ١٤٧ ـ ٦٦٦). فالاشتراك الذي راح الكلام عنه هو الهومونيمي والجناس التام يستدعي لفظتين متشاكلتين في هندستهما الشكلية متباينتين في دلالتهما. فالنص الاعتيادي لا يوفر في أحايين كثيرة المساحة الكافية لاستحضار المؤشرات المشتركة أي الهومونيميات، إلا أن النصوص المسجعة أو الموزونة تمنح للنص صفة تخضع بها لاجتذاب كميات ملحوظة من الهومونيميات بتوظيف الألفاظ المتجانسة. فالجناس يفتح باباً لمعاينة الهومونيميات متزامنة من خلال معاودة الألفاظ المشتركة على التوالي، والغريب أن هذه المعاودة لا تذهب ببلاغة النص أدراج الرياح، بل تمهّد أرضية خصبة لتلقي القيمة الأدبية دون الشعور بالملل لأجل الرتابة التي يصطدم بها المتلقي ولا تؤدي إلى ارتباك القارئ، بل يستطيع التجنيس أن يلبي حاجة النفس بالعزف والموسيقى الذي يضربه بنانه على أوتار الألفاظ. ومن نماذج التزاوجات الهومونيمية عبر تقنية التجنيس الأدبية:

إذا رَمـــــاكَ الـــــدَّهْرُ في مَعْشَـــــرٍ قَـــدْ أَجْمَـــعَ النّـــاسُ عَلـــى بُغْضِـــهِمْ

فَـــــدارِهِمْ مادُمْـــــتَ فِـــــيْ دارِهِـــــمْ وَأَرْضِـــــهِمْ مـــــا دُمْـــــتَ في أَرْضِـــــهِمْ

«فقد تجانس لفظا "دار" في المصراع الأول من البيت الثاني، فالأول هو فعل أمر من باب المفاعلة والثاني بمعنى المنزل، كما تجانس لفظا أرض في المصراع الثاني منه. فالأول هو فعل أمر من باب إفعال والثاني بمعنى الحي الذي يسكنونه» (عباچی، ۶۸۸۶هـ.ش، ص ٢٣).

والهومونيمي يجد صور منوعة في الجناس باختلاف كيفياته. فإن كان الجناس من المماثل الذي تتحد فيه صورتا المتجانسين يقع في إطار الهومونيمي التام الكامل. أما الجناس المستوفي الذي يقع فيه طرفا التجنيس من جنس متباين والجناس المركب الذي تتوزع فيه ظاهرة الجناس في شقّين أو أكثر فيقع في حلقة الهومونيميات التركيبية القواعدية على ما يبدو من الخلاف القواعدي السائد أطراف هذا النموذج المتجانس.

٨ـ٤ـ التضاد

يحتضن التضاد مفارقة لغوية فاعلة مما يؤدي إلى تنافر الإدراك لدى المتلقي **«ويقصد بتنافر الإدراك أن تكون العلاقة بين المستوى اللفظي والمستوى العميق على أساس التضاد، ويشترط في التضاد أن يكون من النوع المتدرّج ولذلك فإن التضاد يكون في أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين بينهما علاقة، ويرتبط بالتضاد التقابل والتعريض والكذب والإثبات بالعكس»** (علي، د. ت، ص ٤). وتوظيف التضاد كتقنية أدبية يفسح المجال لإزاحة الستار عن نشاطات الهومونيمي المتضاد العكسي ولا يتمكن الهومونيمي المعاكس أن يغادر ساحة الأدب في اللغة العربية، ذلك أن الألفاظ المضادة استوعبت مساحة كبرى من هذه اللغة واندمجت فيها واشتبكت معها اشتباكاً لا انفصام لعراه، فالهومونيمي المعاكس الذي يتربع على أريكة التضاد يشكّل آلية مؤثرة لإلقاء المعنى على المخاطب وأخذ الرصيد منه. والملحوظ بهذا الصدد هو أن دائرة الهومونيمي المعاكس تتضايق بالنسبة إلى التضادات الاعتيادية لتشمل الألفاظ الموحّدة التي تتضمن إيحاءات مغايرة ومن يتتبع خطوات هذه الإيحاءات ليرى صلات متينة تتجذر في الدلالات الساطعة، وهذا ما يبعث بالحيوية ويبرر استحضار البنية المضادة في النص من دون أن يؤدي إلى استشعار أدنى استثقال على كاهل المتلقي. ومن نماذج البنية المضادة الطافحة على سطح النص يمكن الإشارة إلى المؤشر الاسمي "البين"، فهو بمعنى الفراق والوصل:

يـــانَ الخَلِـــيطُ وَلَـــوْ طَوّعْـــتَ مَـــا يانـــا وَقَطّعـــوا مِـــنْ حِبَـــالِ الوَصْـــلِ أَقْرَانـــا

بمعنى الفراق، واستشهد للوصل بقول الشاعر:

لَعمْـــرُكَ لَـــوْلا البَـــيْنُ لَـــانْقَطَعَ الهَـــوى وَلَـــوْلا الهَـــوَى مَـــا حَـــنَّ لِلْبَـــيْنِ آلِـــفُ

(البدوي، ٢٠٠٦م، ص ٦٣ ـ ٦٢). فالهومونيمي في أمثال هذه الأعمال الأدبية والأبيات الشعرية يمنح لتقنية التضاد أن تبرز سافرة وتفضي إلى النص بلاغة جديرة وتخرجه من النعاس الذي يغشيه فينة بعد فينة.

٨ـ٥ـ التورية

استحضار الهومونيمي في التورية كتقنية أدبية، صفة مميزة تؤكد على استجلاء دور الهومونيمي في السياقات الأدبية. فتعني التورية **«أن تكون الكلمة ذات مدلولين، ويستعمل المتكلّم أحدهما ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله. نحو قول الشاعر:**

أَبْيـــــاتُ شِـــــعْرِكَ كَالْقُصـــــو رِ وَلا قُصـــــورَ بِهـــــا يَعـــــوقُ

الشاهد في هذا البيت: (القصور) الأولى والثانية، فاللفظة الأولى تعني القصر أي البناء الفخم، واللفظ الثاني يعني الضعف والخلل» (عطوي، ١٩٨٩م، ص ١٢١). والتورية تتوزع على أربعة فروع: المجردة والمرشحة والمبينة والمهيأة (المصدر نفسه)، إلا أن هذا التوزيع لا يترك بصمات قاتمة في هندسة الهومونيمي وكيفيات استخدامه. فالهومونيمي التام يوظف في التورية بصورة غير مباشرة. فلا يظهر اللفظ المشترك على خشبة النص ظهوراً سافراً بل يلمح إليه. والملحوظ أن التورية لا تتحقق إلا في الألفاظ التي تتشعب فيها الدلالة والهومونيم الموظف في هذه التقنية في جل الأحايين هومونيمي قاموسي شهير، حيث الإشارة إليه فيها الكفاية لتلقي المعنى المقصود ورمي الدلالة المنبوذة.

٨ـ٦ـ الاستخدام

تقنية الاستخدام تقدم نموذجاً مشرقاً من توظيف الهومونيمي في حقل الأدب، وهو أن يراد بلفظ له معنيان: أحد المعنيين ثم يراد بضميره المعنى الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحد المعنيين ثم يراد بالضمير الآخر المعنى الثاني، فالأوّل كقوله:

إذا نَـــزَلَ السَّـــماءُ بِـــأَرْضِ قَـــوْمٍ رَعَيْنـــاهُ وَإِنْ كـــانوْا غِضـــابا

يبرز الهومونيمي في هذه الشريحة الدلالية في المؤشر الاسمي "السماء" الذي يدلّ على سبيل المجاز على معنيين: هما "المطر" انطلاقاً من العلاقة السببية و"النبات" بناء على العلاقة المسببية. ثمة الضمير في المؤشر الفعلي "رعيناه" يلمح إلى المعنى الثاني، فالشاعر يقول إذا هطل المطر بأرض قوم رعينا النبات ورتعناه. والثاني كقوله:

فَسَـــقَى الغَضـــا وَالسّـــاكِنِيهِ وَإِنْ هُـــمُ شَـــبّوهُ بَـــيْنَ جَـــوَانِحي وَضُـــلوعي

فيستعمل الشاعر لفظة "الغضا" في هذه الشريحة الدلالية بمعنيين: الأول بمعنى المكان الذي ينبت فيه شجر الغضا؛ والثاني بمعنى النار الموقدة، وكلاهما على سبيل المجاز لا الحقيقة فأعاد الضمير في قوله "الساكنيه" على المكان النابت فيه الغضا، وفي المؤشر الفعلي "شبّوه" الذي يدل على "أوقدوه" الضمير يحال على المعنى الثاني أي نار الغضا (الخطيب، ٤٩٠٤م، ص ٠٦٠ و٣٦١ و٣٦٦). فسقيت أرض الغضا ومن نزل فيها، لكنّ النازلين بهذه الأرض أوقدوا أغصان الغضا في أحشائهم.

فالهومونيمي يجد لنفسه حضوراً بارزاً في تقنية الاستخدام عبر اللعب الضمائري أي عبر تضافر الضمائر وتعانقها الإيحائي الإحالي. وهذا الحضور تطغى عليه سمة الإحالة الدلالية. وهذا ما يميز الاستخدام عن سائر التقنيات التي تستمد بالهومونيمي كالحجر الأساس لها. يتناول الاستخدام الهومونيمى بصورة غير مباشرة، وهو يتأبط شحنة جديدة لرصد المستويات الدلالية. وعند وضع العدسة المكبرة على تقنية الاستخدام، يتراءى للناظر أنه يرتبط بفاعلية فائقة بالنشاطات الدلالية الحقيقية والمجازية.

فالسماء في البيت الذي سَبَقْنَا لا يبلغ قرارته الدلالية إلا بعد اعتبار معناه مجازياً أي "الغيث" و"العشب". فالهومونيمي الذي يعضد هذه الوحدة وأمثالها يجتاز حدود الهومونيميات القاموسية ويَتَتَوَّجُ بأخرى المعاني السياقية للفظة. فالهومونيمي الوظيفي هو ما يلازم تقنية الاستخدام ويتزاوج معها قياساً لسائر أنواع الهومونيميات.

الخاتمة

خلّص البحث إلى جملة من النتائج. لعل أهمها ما يأتي:

ـ أولاً: تعمل آليات شتى على خلق الهومونيمي. وهذه الآليات إما آليات بيئية وإما آليات لغوية بحتة. فمن الآليات البيئية التي تعمل بشكل فاعل على خلق الهومونيميات وإنشائها يمكن الإشارة إلى علاقات الجوار وتأثر الثقافات والتطورات التقنية والعلمية وكيفية التصرفات الاجتماعية والأساليب اللغوية لإبراز الأحاسيس والمشاعر من إبداء التشاؤم والإلحاح على توظيف التعابير اللبقة واستعمال الأساليب التهكمية. أما الآليات اللغوية البحتة فيمكن وضعها في جعبة من السمات اللسانية نحو: الغموض والحذف والتماثلات العشوائية والتطورات الدلالية والتركيبية والصوتية المؤدية إلى التشابهات اللغوية.

ـ ثانياً: هنالك أنواع من الهومونيميات تتجلى في اللغة العربية؛ فالهومونيمي الهندسي، وهو على هامش المناورة في اللغة العربية يتجلى في ألفاظ من أمثال "المختار" لتماهي الهندسي في حالتي اسم الفاعل واسم المفعول؛ والهومونيمي الترقيمي يشكل في اللغة العربية حلقة موسعة من الألفاظ الاعتيادية، ولاسيما توظيف الضمائر في الساحات التداولية نحو تصريف الأفعال في الصيغ المختلفة لـ"كتبتُ" و"كتبتِ" و"كتبتَ" كنماذج، ذلك أن الحركات الإعرابية في أحايين كثيرة لا تسجلها الأقلام على الأوراق. وينضب معين الهومونيميات الصوتية في اللغة العربية. والسبب يعود إلى التوزيع الصوتي للأبجديات المتشابهة، حيث المجموعات المتشابهة تلفظ بشكل مغاير نحو تغاير "التاء والطاء" أو "السين والثاء والصاد"، إلا أن هذا الهومونيمي لا ينعدم في العربية انعداماً تاماً بل يتواجد في الأسجاع والأوزان تعديلاً لإيقاع النص وتنشيطاً للدلالات الكامنة.

ـ ثالثاً: أنّ الهومونيمي في الأساليب الأدبية يتجلى بمظهرين؛ المباشر وغير المباشر. ومن هذه الأساليب يمكن الإشارة إلى المشاكلة، والمثلثات والجناس والتورية والاستخدام؛ فالمشاكلة لا تعمل في استثمار الهومونيميات اللفظية وتوظيفها، بل تعمل أكثر ما تعمل في إحداث الهومونيميات وإنشاء حلقات مستجدة منها. فهي إلى الخلق أقرب منه إلى الاستدعاء، والتي تعضد الهومونيمي وتتفاعل معه تفاعلاً ناشطاً تتحدد في المشاكلات اللفظية من دون غيرها. وما يشد النظر في المثلثات كواجهة لمنصة الهومونيمي الترقيمي هو نسج حلقة دلالية مستغلقة على المتلقي فعملية حل الاستغلاق عملية تشجيعية تبعث في النفس مكامن الاستفسار والاستفهام وتفتح باباً لكشف الغطاء عن اللغز المتواجدة في النص وصولاً للكشف والانفتاح. ولا تدخل شتى ملامح الجناس من الناقص والاشتقاقي في إطار الهومونيمي بل الجناس التام هو الذي يتطلب الهومونيمي ويستسقيه تشيداً لرايته. وتوظيف التضاد كتقنية أدبية يفسح المجال لإزاحة الستار عن نشاطات الهومونيمي المتضاد العكسي ولا يتمكن الهومونيمي المعاكس أن يغادر ساحة الأدب في اللغة العربية ذلك أن الألفاظ المضادة استوعبت مساحة كبرى من هذه اللغة. والهومونيم الموظف في التورية في جل الأحايين هومونيمي قاموسي شهير حيث الإشارة إليه، فيها الكفاية لتلقّي المعنى المقصود ورمي الدلالة المنبوذة والهومونيمي يجد لنفسه حضوراً بارزاً في تقنية الاستخدام عبر اللعب الضمائري.

ـ وأخيراً: الجدول التالي يزيح الستار عن مدى فاعلية التقنيات الأدبية والمناويل الهومونيمية الموظفة فيها، وأنواع الهومونيميات والتقنيات الأدبية ما يلي:

التقنية الأدبية	المنوال الهومونيمي الموظّف فيها
المشاكلة	الهومونيمي التركيبي
المثلثات	الهومونيمي الترقيمي
الجناس	الهومونيمي التام الكامل الهومونيمي القواعدي
التضاد	الهومونيمي المعاكس
الاستخدام	الهومونيمي الوظيفي
التورية	الهومونيمي القاموسي الهومونيمي التام

فالهومونيمي التركيبي يتجلّى في المشاكلة، والمثلثات اللغوية تمهّد أرضية مناسبة للهومونيمي الترقيمي، وهنالك الجناس يعدّ بؤرة مركزية تطوف حوله الهومونيميات الكاملة والهومونيميات القواعدية. ومن ثمّ الاستخدام يتأبط كميات كبرى من الهومونيميات الوظيفية وأخيراً الهومونيميات القاموسية.

❁❁❁

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

أ. العربية

❁ *القرآن الكريم*

١. ابن الحداد الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (٢٠٠٣م). ***الموسوعة الشعرية***. الإصدار ٣. القرص الكمبيوتري. أبوظبي، الأمارات العربية المتحدة: المجمع الثقافي.

٢. ابن هرمة، أبو إسحاق إبراهيم بن علي. (٢٠٠٣م). ***الموسوعة الشعرية***. الإصدار ٣. القرص الكمبيوتري. أبوظبي، الأمارات العربية المتحدة: المجمع الثقافي.

٣. الأحدب، إبراهيم بن علي الطرابلسي. (٢٠٠٣م). **الموسوعة الشعرية**. الإصدار ٣. القرص الكمبيوتري. أبوظبي، الأمارات العربية المتحدة: المجمع الثقافي.

٤. الأسود، إبراهيم بن نجم. (٢٠٠٣م). ***الموسوعة الشعرية***. الإصدار ٣. القرص الكمبيوتري. أبوظبي، الأمارات العربية المتحدة: المجمع الثقافي.

٥. البدوي، حسن أحمد سلمى. (٢٠٠٦م). ***الألفاظ المتضادة في القرآن الكريم***. رسالة مقدمة إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة ماجستير الآداب في اللغة العربية.

٦. البيتي، محمد ابن سعيد بن إبراهيم. (١٩٨٨م). ***المشترك اللفظي بين مفهوم اللغويين وواقع الاستعمال العربي***. رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة. مكة: جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية.

٧. حسام، البهنساوي. (٢٠٠٣م). ***التوليد الدلالي: دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجر الدر لأبي الطيب اللغوي في ضوء نظرية العلاقات***. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

٨. الحميداوي، خالد كاظم حميدي. (٢٠١١م). ***أساليب البديع في نهج البلاغة: دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية***. أطروحة لنيل دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها. جامعة الكوفة، كلية الآداب.

٩. الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. (١٩٠٤م). ***التلخيص في علوم البلاغة***. (ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي). القاهرة: دار الفكر العربي.

١٠. الخطيب، عدنان عمر. (د. ت). «مربع في مثلّثات قطرب اللغوية (ت ٦٩٤هـ)». ***مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق***. المجلد ٨. الجزء ٣. صص ٦٢٨ ـ ٥٨٩.

١١. الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد. (١٤١٤هـ.ق). ***تاج العروس***. (تحقيق: علي شيري). بيروت: دار الفكر.

١٢. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي. (٢٠١١م). ***مفتاح العلوم***. (تحقيق هنداوي). (ط ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣. شوقي، جلال. (١٩٨٦م). المثلثات اللغوية متونها ومنظوماتها حتى نهاية المائة السابعة للهجرة. ***جامعة قطر: حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية***. العدد ٩. صص ١٦٩ ـ ٢١٥.

١٤. الشيخ، حسن عبد الواحد. (١٩٩٩م). ***العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي (دراسة تطبيقية)***. (ط ٢). الإسكندرية: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية.

١٥. صيفور، أمين. (٢٠٠٩م). ***ترجمة المشترك اللفظي في القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية؛ لفظة الأمة نموذجاً: دراسة نقدية مقارنة***. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة منتوري ـ قسنطينة كلية الآداب واللغات قسم الترجمة مدرسة الدكتوراه.

١٦. الضايع، مصطفى يوسف. (٢٠١٥م). الإيقاع الداخلي في شعر أبي العلاء المعري ـ الجناس والطباق أنموذجاً. ***مجلة جامعة البعث***. المجلد ٣٧. العدد ١٠. صص ١٥٤ ـ ١٢٣.

١٧. عبد التواب، رمضان. (١٩٩٩م). ***فصول في فقه اللغة***. (ط ٦). القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٨. عبد الحميد، جميل. (١٩٩٨م). ***البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية***. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتّاب.

١٩. عطوي، خليل رفيق. (١٩٨٩م). ***صناعة الكتابة: علم البيان، علم المعاني، علم البديع***، بيروت: دار العلم للملايين.

٢٠. علي، شحادة عاصم. (د.ت). «المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي: دراسة في بنية الدلالة». ***مجلة الأثر***. العدد: ١٠. الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. صص ٢٢ ـ ١.

٢١. الفهد، محمد إبراهيم وآخران. (٢٠١٥م). «المشاكلة: قراءة في المفهوم البلاغي العربي». ***مجلة ديالي***. العدد ٦٨. صص ٣٩ ـ ٢٥.

٢٢. مبين، حارث. (٢٠١٤م). الاشتراك اللفظي في أبحاث المحدثين. ***مجلة القلم***. صص ٤٢٥ ـ ٤٠٦.

٢٣. المتنبي، أبو الطيّب. (٢٠٠٨م). ***ديوان أبي الطيب المتنبي***. (شرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان في شرح الديوان). (الضبط والتصحيح كمال طالب). بيروت: دار الكتب.

٢٤. مصطفى، إبراهيم وآخرون. (١٤٢٦هـ.ق). ***المعجم الوسيط***. قم: مؤسسة الصادق.

ب ـ الفارسية

٢٥. عباچی، اباذر. (١٣٨٦هـ.ش). ***علوم البلاغة***. تهران: سمت.

ج ـ المواقع اللإلكترونية

٢٦. ***قاموس مصطلحات عربي ـ إنجليزي***. www.almaany.com/appendix.php?language=arabic.

٢٧. ***معجم المعاني الجامع عربي ـ عربي***. http://www.almaany.com.

د ـ الإنجليزية

28. Abd-ul-ameer.Ali. (2010). ***Ahmed Mohammed. Homonymy in English and Arabic: A contrastive study***. Babylon University.
29. Barjes. Salam Muhammed. (2011). «Can one lexical item have two opposite meanings? A semantic study in Arabic with reference to English». ***Tikrit university journal for humanities***. No 8. pp 13 – 32.
30. Ghazali. Tawfeeq. (2014). «The Use of Homonymy in Iraqi Colloquial Poetry». ***International Journal of Science and Research***. V 5. pp 525 – 529.
31. Kaddouri. Nagham. (2012)**. *Demonstrating Homonymy in English and Arabic as an ambiguous lexeme.*** Tikrit university journal for humanities.
32. Rahmati.Fatemeh. (2015). «Semantic shift, homonyms, synonyms and auto-antonyms». WALIA journal. No 31. pp 81 – 85.
33. Salim. Jamal Azmi. (2013). «Homonymy in Jordanian Colloquial Arabic: A Semantic Investigation». ***English Language and Literature Studies***. No 3. pp 69 – 76.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی